



الفصل التاسع

كنايات في موضوعات متفرقة^٤

الفصل التاسع

كنايات في موضوعات متفرقة

يضم هذا الفصل مجاميع من الكنايات، تشكل كل مجموعة منها موضوعاً معيناً قلاماً بذاته، لذلك أسميناه كنايات متفرقة، فهو يدل على معناه، أي موضوعات متفرقة، إذ تشترك مجموعة من الصور الكنائية في معالجة موضوعات يجمعها خيط فكري واحد، فمثلاً المجموعة الأولى التي تحمل عنواناً هو (كنايات عن الشدة والكرب) تصوّر الشدائد والأهوال التي يمرّ بها الإنسان في حياته وفي أثناء موته وبعثه إلى الحياة الأخرى وغير ذلك. يجمعها خيط فكري وإن اختلف الموقف والأحوال.. وتأتي المجموعة الثانية تصوّر نماذج من مصارع الغابرين التي أهلكها الله بذنوبها، فجعل مصارعهم ذكرى لمن كان له قلب فيعتبر بها.. وتصور المجموعة الثالثة والرابعة طائفة من صور عذاب الله، وطائفة من صور الرحمة الإلهية الواسعة، ومجموعة من الآيات الكريمة منها تتعلق بخلق الكون، كل ذلك يعرضه القرآن بالتصوير الكناني الذي يحتضن الأفكار والمعاني فيؤديها بحيوية وقوة تأثير في المتلقي تعمل على إحداث الاستجابة النفسية التي يهدف إليها القرآن.

وفيما يأتي استعراض كنايات كل مجموعة على حدة، نحاول فيه بيان القيمة البلاغية للفن الكناني في التعبير عن الأفكار والمعاني بالطريقة التصويرية المؤثرة.

(١) كنايات عن الشدة والكرب:

يضم هذا العنوان ثلاث صور تشترك بإيحاء الشدة والكرب التي تدتاب الإنسان في حياته.. الشدة والكرب التي يواجهها في أثناء حياته وموته وبعثه، وشدة وكرب وهو يواجه الحياة، يعرضها القرآن من خلال مواجهة ذي من الأنبياء (عليهم السلام) قوة الظالمين المنحرفين عن الفطرة السوية.

التفاف الساق بالساق:

ترد هذه الكناية في مشهد الاحتضار عند الموت في قوله - تعالى - ﴿كَلَّا إِنَّا بَلَغُوا الْبِرَاءَ﴾ (١) ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (٢) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿وَالْتَفَتَ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ (٣) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿ (٤)

فالمَنِيَّة التي يتجرعها كل إنسان، يصور القرآن مشهدها بهذا التصوير الموحى. إنه مشهد يكاد يتحرك، فكل آية منه ترسم حركة وتخرج لمحة من حالة الاحتضار التي يرتسم معها الجزع والحيرة واللهفة ومواجهة الحقيقة التي لا دافع لها ولا راد، إنها الحقيقة التي لا مفر منها (٥) ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾.

إنه مشهد الموت الذي ينتهي إليه كل حي في أجله المرسوم. وهذا المشهد يعرضه القرآن في سياق إثارة المشركين العاجلة (الحياة الدنيا) وانغماسهم في لذائذها وشهواتها، فهم غافلون عما بين أيديهم من الأهوال والشدائد التي تنتظرهم ومنها الموت في مشهده المعروف. والشدة في المشهد تلمحها بالردع والزجر ابتداء ﴿كَلَّا إِنَّا بَلَغُوا الْبِرَاءَ﴾: "﴿كَلَّا﴾ ردع عن إثارة على الآخرة، كأنه قيل: ارددعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم، وتنقلوا إلى الأجلة التي تدقون فيها مخلدين" (٦) والضمير في ﴿بَلَغُوا الْبِرَاءَ﴾ عائد إلى الروح والنفسي: أعالي الصدر (٧)، أي شارب الإنسان على الموت ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي: فقال أهله: من يرقي ويطب ويشفي هذا المريض (٨) ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي: وأيقن المحتضر أنه سيفارق الدنيا والأهل والأسال، لمعاذته ملاذكة الموت (٩) وتلوي المحتضر من السكرات والذروع ﴿وَالْتَفَتَ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ وهي كناية تنكشف فيها معاني المشهد المعروف في شدة وكربه، قال الزمخشري: "﴿وَالْتَفَتَ﴾ ساقه يساقه والتوت عليها عند الموت، وعن فتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه، وقد كان عليهما جوالاً، وقيل: مدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة، على أن المساق مدل في الشدة" (١٠) وما ذكره الزمخشري بجلي المعنى المادي الظاهري والمعنى النفسي الشعوري الذي تطوي عليه

(١) سورة القيامة، الآيات: ٢٦ - ٣٠.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٨ / ٣٨٦.

(٣) الكشف: ٤ / ٥٣٠.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ٣٠ / ٢٣٠.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٨ / ٣٨٦ - ٣٩٠.

(٦) صفوة التفسير: ٣ / ٤٨٧.

(٧) الكشف: ٤ / ٥٣٠. وينظر: المفردات، ص ٣٦٣.

الكنائية، فالمعنى الظاهري للكنائية هو التفاف الساق بالساق، أي التواء ساق على أخرى عند الموت، وهي حركة تشير إلى المعنى المكنى عنه وهو شدة الموت وكرهه سواء أكان هو ألم الموت ووجعه أم شدة فراق الدنيا وانقطاع أي وسيلة لاستنفاذ الروح من الأقبال على الآخرة في أول منزل من منازلها (القبر)، قال ابن عيسى: " المراد اجتمعت عليه شدة مفارقة الدنيا، مع شدة الموت وكرهه، فيكون ذلك من باب التمثيل للأمر الهائل العظيم، حيث يلتقي عليه شدة كرب الدنيا، مع شدة كرب الآخرة، كما يقال: شمرت الحرب عن ساق " (١) دلالة على شدتها وضراوتها. فالكنائية تجسد بالتصوير الحسي المعاني الشعورية التي تتناوب المحتضر من شدة وكرب وهو يقبل على الآخرة.

لتركبن طبقاً عن طبق:

تأتي هذه الكناية في مشهد من مشاهد الطبيعة التي يقسم بها الله ﷻ في قوله - تعالى -: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْشَّفَقِ ۖ وَالْأَيْلِ وَمَا وَسَقِ ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا أَشَقَّ ۖ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۖ﴾ (٢) ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ كناية تخرج المعنى في صورة حسية، والتعبير بالركوب ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ يوحي بالشدّة والمعاناة وهو المعنى الظاهري لهذا التركيب الكنائي، أما المعنى المكنى عنه الذي تشير إليه الصورة الكنائية فهو الشدائد والأحوال والكروب التي يجتازها الإنسان في حياته الدنيا وما بعدها من موت ثم بعث وما يعاقبه من أهوال القيامة وكروبها وشدائدّها، قال الطبري: "أنهم يلاقون من شدائد يوم القيامة وأهوالها أحوالاً" (٣) وقال الزمخشري: " لتركبن أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض، وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها " (٤).

والبادي أن المعنى المكنى عنه لا ينحصر بشدائد الموت وشدائد يوم القيامة وأهواله حسب، وإنما هو ذو مدلول عام يشمل حياة الإنسان قبل موته وفي أثناء موته وما بعد ذلك من منازل حتى يستقر في إحدى الدارين الجنة أو النار، وهو المعنى الذي ذهب إليه الراغب بقوله: " يترقى منزلاً عن منزل، وذلك إشارة إلى أحوال شتى في الدنيا. وأحوال شتى في الآخرة. إلى حين المستقر في إحدى الدارين " (٥) فالشدّة والمعاناة التي يركبها

(١) صفوة التفسير: ٣ / ٤٨٧.

(٢) سورة الأنشاق، الآيات: ١٦ - ١٩.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن: ٣٠ / ٨٠.

(٤) الكشف: ٤ / ٥٨٦، وينظر: روح المعاني: ٩ / ٣٣١.

(٥) المفردات، ص ٤٥٠.

الإنسان ذات مدلول عام، وهو المعنى الذي يؤكد قوله - تعالى - في موضع آخر: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^(١)، ففيه دلالة كل تعب ومشقة^(٢)، أي شدائد ومشقت يمر بها في أحوال متعاقبة مقدرة مرسومة، كذلك الأحوال المتعاقبة على الكون من الشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق تمضي وفق مشيئة الله تنتهي عند غايتها، وفي ذلك يتجلى التناسق بين الكناية وما تشير إليه من أحوال متعاقبة مع الأحوال المتعاقبة مما ذكر من مشاهد كونية طبيعية، إذ يمثل انتقالاً لطيفاً من معنى إلى معنى، وهذا التناسق هو من سمات القرآن البديع^(٣).

ومما يؤكد شدة هذه الأحوال وكروبها ومعاناتها توظيف الاستعارة المكنية في بنية الكناية ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾^(٤)، فالركوب استعارة مكنية فيها تشبيه هذه الأحوال بمطايا يركبها الناس واحدة بعد واحدة، ثم حذف المشبه به (المستعار منه) وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الركوب على سبيل الاستعارة المكنية. وبذلك تتواشج الاستعارة مع الكناية في إخراج المعنى بحيوية وقوة تأثير.

ضاق بهم ذرعاً:

ورنت هذه الكناية في موطنين من القرآن الكريم في سياق قصة سيدنا لوط عليه السلام وهي تجلّي بالتصوير الشدة التي عاناها مع قومه المنحرفين عن الفطرة السوية، نقرأ ذلك في قوله - تعالى -: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾^(٥).

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ كناية عن صفة سيدنا لوط عليه السلام ومعناها: "ضاق بشأنهم ويتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته، وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع: عبارة عن فقد الطاقة، كما قالوا: رحب الذراع كذاء إذا كان مطيقاً له، والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال مالا يناله القصير الذراع، فضرب ذلك مثلاً في العجز والقدرة"^(٦)، فالكناية تخرج المعنى النفسي بالتمثيل تصويراً له وتجسداً، وهو المعنى المكنى عنه ويتمثل في الشدة والكرب التي تجاوزت طاقته فعجز عن مقاومة قومه ومداغتهم عن ضيوفه الذين حسب أنهم إنس فخاف عليهم من خبث قومه، ومما يصعد معنى الكناية المقصود المجاز العقلي الذي انتهت به

(١) سورة البلد، الآية: ٤.

(٢) ينظر: الكشف: ٤ / ٦٠٢.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٨ / ٥٢٩ - ٥٢٤.

(٤) سورة هود، الآية: ٧٧. وينظر: سورة العنكبوت / الآية: ٣٣.

(٥) الكشف: ٣ / ٣٥٦ - ٣٥٧.

الآية ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ قال الزمن ﴿يَوْمٌ﴾ لا يكون عصيباً شديداً، وإنما هي نفسه ﴿يَوْمٌ﴾ في ذلك اليوم عصيبة مكروبة، ولكن وصف اليوم بأنه عصيب بهذا الاسناد المجازي باعتبار العلاقة الزمانية بصور عمق الشدة والكرب الذي ملأ عليه أقطار نفسه وقاض فشمّل الزمن، فهي لا ترى مخرجاً أو ركناً تلوى إليه ^(١) تخلّصاً من هذا الكرب.

(٢) كُنَايَاتُ عَنْ مَصَارِعِ الْغَابِرِينَ:

يعرض القرآن الكريم مصارع الغابرين للعبرة والموعظة، فهي تحذّر الناس الوقوع فيما وقعوا فيه من الذنوب والخطايا التي أهلكتهم ^(٢)، فسنة الله ﷻ جارية لا تبدل ولا تحابي أحداً ولا تحيد ^(٣)، فما نزل بالأقوام الكافرة الغابرة من عذاب قد ينزل في الأقوام اللاحقة - إن هي كفرت - وإن اختلفت صور العذاب التي تحلّ بهم، لذلك يقدم القرآن مصارع الغابرين في مساحة واسعة من آياته تحكي قصص اهلاكهم وفي طياتها التحذير والتخويف.. وفيها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ^(٤)، فالنفس الانسانية شديدة الحساسية والتأثر بمصارع الغابرين التي تحث على الذكرى والاعتبار.

وقد كانت مصارع الغابرين كما يعرضها القرآن بألوان من العذاب والعقاب فكلاً أخذ الله بذنبه، كما قال - تعالى -: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتِ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ^(٥).

وإذا نحن إذ نعرض مصارع الغابرين فإنما نعرضها في سياقات نصوص وصور كناية نحاول تحليلها وبيان قيمتها البلاغية في التعبير والتصوير والتأثير.

فَعَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا عَشِيَهُمْ:

- (١) ينظر: سورة هود، الآية: ٨٠.
- (٢) ينظر: السور الآتية: آل عمران، الآية ١١، ويونس، الآية: ١٣، ١٤، وغافر، الآية: ٤١، ٨١، ومحمد، الآية ١٠ مثلاً.
- (٣) ينظر السور الآتية: هود، الآيات: ٨٣، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١٦، ١١٧، والحجر، الآية: ٨٤، والإسراء، الآية: ٥٨، والفتح، الآية: ٢٣ مثلاً.
- (٤) ينظر: سورة ق، الآية: ٣٧.
- (٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

يأتي هذا التعبير الكنائي مصوراً عذاب قرعون وجنوده، وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ (١).

﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ كناية كُتِفَت معاني كثيرة وقامت في بنيتها على التهويل، تهويل المعنى المكنى عنه وهو: شدة عذابهم وفضاعته الذي غشاهم لا يعلم كنهه إلا الله، جاء في التفسير: " ﴿ غَشِيَهُمْ ﴾ من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة، أي: غشيهم مالا يعلم كنهه إلا الله " (٢). وفضلاً عن هذا التجهيل لشدة العذاب وفضاعته الذي حل بهم، فإن الفعل (غشي) يعمق من شدة هذا العذاب الموصوف الذي غمرهم وغطاهم، فالتعشية: التغطية (٣). أي: غطاهم العذاب ولا يسهم بأهواله، وغمرهم بالوان منه لا يعلم وصفها على حقيقتها إلا الله.

وهذا العذاب الذي صورته الكناية على سبيل التجهيل والتعظيم يتناسب مع قرعون وجنوده في طغيانهم وفسادهم الذي ملأ الأرض (٤). وقرعون الطاغية هو مدعي الألوهية قولاً وفعلاً (٥). فناسب هذا العذاب جنس العمل، فغشيهم البحر وما فيه وغمرهم بالعذاب بهذا التعظيم له والتفطيع الذي يترأى من خلاله بأهواله العظيمة.

ويتكرر الفعل (غشي) في صورة كنائية أخرى في تصوير العذاب الذي حلّ بقوم لوط، وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ فَفَجَشَّهَا مَا غَشَّى ﴾ (٦) والموتفة هي " القرى التي انتفكت بأهلها، أي: انقلبت، وهم قوم لوط ﴿ أَهْوَىٰ ﴾ رفعها إلى السماء على جناح جبريل، ثم أهواها إلى الأرض، أي: أسقطها " (٧).

والكناية في قوله - تعالى - : ﴿ فَفَجَشَّهَا مَا غَشَّى ﴾ تصور عذابهم على سبيل الإيجاز، فالمعنى المكنى عنه، وهو العذاب الفظيع المروع لا يحده التصوير الكنائي، وإنا هو مطلق على سبيل التجهيل والتعظيم تذهب النفس كل مذهب في تصويره وتخيّله.

(١) سورة طه، الآية: ٧٨.

(٢) الكشف: ٣ / ٦٢.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١٥ / ٩٢٦ (عش).

(٤) ينظر: سورة القصص، الآية: ٤.

(٥) ينظر: سورة القصص، الآية: ٣٨، وسورة النازعات، الآية: ٤٤.

(٦) سورة النجم، الآيتان: ٥٣-٥٤.

(٧) الكشف: ٤ / ٣٤٢، وينظر: البحر المحيط: ٨ / ١٧٠.

قال الزمخشري: "﴿مَاعَشَى﴾ تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنشود" (١)، فالكناية موحية بالمعنى المكنى عنه لا تحدده ولا تحصره وإنما يترأى من سجعها صورة الدمار والخسف التي تدمر كل شيء فقد لأبستهم بأهوالها وغطتهم، فهي صورة غريبة مروعة من العذاب، ولكنها تناسب فعلتهم الغريبة التي حكاها عنهم القرآن الكريم (٢)، فكان عقابهم جزاءً وفاقاً.

فالكنائتان تعرض صورتين من العذاب مروعتين، وقد عملت الكناية متصافرة مع الأسلوب الموجز في كل منهما - والإيجاز من خصائص الكناية القرآنية - على تصوير العذاب المناسب للسياق إذ أعدمت الكناية في بنيتها على التجهيل والتعميم في إخراج المعنى المكنى عنه لتهويله وتقطيعه، ولتوحي بلسع العذاب الذي غشاهم بأهواله، وتلقي من ثم في نفس السامع أو القارئ الرعب من هذا المصير المشؤوم، فيعمل على تجذبه، ويمثل لأمر الله، وبعم الصلاح والخير في حياة الفرد والمجتمع، وبذلك يتحقق الهدف المنشود.

قَطْعُ الدَابِرِ:

يعتبر القرآن عن إهلاك الكافرين الظالمين بالتصوير الكنائي الموحى (قطع الدابر) في قوله - تعالى -: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣).
﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ﴾ كناية تواسجت معها في التعبير والتصوير استعارة (القطع)، والقطع إنما يكون للأشياء المتماسكة الصلبة كالخشب مثلاً وما شابه ذلك، قال عبد القاهر الجرجاني: "إن القطع إذا أطلق فهو لازالة الاتصال من الأجسام التي تلتصق أجزاءها، وإذا جاء في تفريق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعضهم شبيه الاستعارة، وإن كان المعنى في الموضوعين على إزالة الاحتماص ونفيه" (٤)، وهذه الاستعارة القريبة أو شبه الاستعارة كما يقول عبد القاهر تصور العذاب النازل بالظالمين على نحو مخصوص لأن القطع يشير إلى "معنى نفسي دقيق هو هذه الوشائج التي تقوم بين الجماعة القائمة في مكان

(١) الكشف: ٤ / ٣٤١، وينظر: تفسير التحرير والتوير: ٢٧ / ١٥٥، وينظر: سورة هود، الآية: ٨٢، وسورة الحجر، الآية: ٧٤، وصفا لعذابهم بالمطر.
(٢) ينظر: سورة الأعراف، الآية: ٨٠-٨١، وسورة العنكبوت، الآية: ٢٨-٢٩.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٥، وينظر: السور الآتية: الأعراف، الآية: ٧٢، والأنفال، الآية: ٧، والحجر، الآية: ٦٦.
(٤) أسرار البلاغة، ص ٤٤.

واحد، والمجتمعة في أرض واحدة، والتي هي أشبه باللحمة في الثوب^(١)، فالاستعارة تشير إلى تقطيع هذه الصلات المتلاحمة بالعذاب النازل بهم، فهو عذاب شديد وكله تقطيع وتمزيق للأجسام والأوصال لا يغادر منهم أحداً كما تصور الكناية ﴿دَائِرُ الْقَوْمِ﴾ فالداير هو آخر القوم، قال الزمخشري: "آخرهم لم يترك منهم أحد، قد استوصلت شأفتهم"^(٢)، فالكناية تشير إلى معناها المكنى عنه والمتمثل في عذاب الاستئصال الذي يرووهم ويفزعهم، وهذا الترويع والفرع توحى به الكناية، بما فيها من حركة، لأن الداير: فاعل من دبر إذ أدبر^(٣)، وفي ذلك تصوير لحالهم مدبرين من الفرع حين نزول العذاب، لعل في الإدبار نجاة أو أمان! ولكنه العذاب الشديد الذي يستأصلهم يأخذ آخرهم، فكيف بأولهم؟ فهو العذاب الذي يعم بالهلاك فلا يترك أحداً من الظالمين على قيد الحياة ﴿وَالْمَعْدِلُ لِلْوَرِيِّ تَعْلَيْنَ﴾.

المشي في المساكن:

مما يدل على مصارع الغابرين آثارهم، ومن هذه الآثار ما هي قادمة، ومنها مندثرة كالزرع المحصود، كما يحكي القرآن ذلك: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾^(٤)، فآثارهم معروضة للمتأملين والمعذبين فهي ترحم النفس والخيال ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾ لا تزال آثاره شاخصة باقية تروي قصة الكفر والبطر، ومنها ﴿وَحَصِيدٌ﴾ علفي الأثر كالزرع المحصود، وكل منهما دالٌّ على موت أهلها وهلاكهم وزوالهم بعد الحركة والحياة.

والقرآن يتخذ من آثارهم ومساكنهم هذه معرضاً للإنذار والعبرة، كما نقرأ مثلاً في قوله - تعالى - ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا نَمْرًا أَمْ لَكُمْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾^(٥).

(١) التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص ٢٠٢ - ٢٠٣، وينظر: الاستعارة في القرآن الكريم، ص ٨٥.

(٢) الكشف: ١٨ / ٤، وينظر: تفسير التحرير واقتوير: ٩ / ٢٧٢، الكتاب الثقي.

(٣) الكشف: ١٥٦ / ٢.

(٤) سورة هود، الآية: ١٠٠. وينظر: سورة يونس، الآية: ٣٤، وسورة الأنبياء، الآية: ١٥.

(٥) سورة طه، الآية: ١٢٨. وينظر السور الآتية: النمل، الآية: ٥٢، والقصص، الآية: ٥٨، والعنكبوت، الآية: ٣٨، والسجدة، الآية: ٢٦، والصفات، الآيتان: ١٣٧ - ١٣٨، والأحقاف، الآية: ٢٥.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾ كناية، والمعنى الظاهر الذي تدلّ عليه هو: أي وهؤلاء المكذّبين يمشون في مساكن أولئك المكذّبين، فلا يرون فيها أحداً ممن كان يسكنها ويعمرها " (١) فهم يتقلّبون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم الشاحصة الموحدة لا ديار فيها ولا نافع نار. أما المعنى المكنى عنه المقصود فهو ملزوم المشي في هذه المساكن ويتمثل في العبرة والاتعاظ ممّا تحكيه تلك الآثار والمساكن الخاوية عن مصارع الغابرين الظالمين، عبرة تجنب الذين يمشون في تلك المساكن سنة الله الجارية في إهلاك الظالمين، والعبرة التي تبتّعها تلك المساكن الخاوية الموحدة في الحسن والوجدان تكفي للإنذار والموعظة، فما لهم لا يعتبرون، ولا يتعظون كما يدل الاستفهام التعجبي بالهمزة: ﴿أَفَلَمْ يَنْتَهِكُمْ...﴾ تعجيب من حال الكافرين الذين لا يعون معنى الإنذار، والعبرة أمامهم معروضة للانظار، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّعْتَى﴾ فهي عبرة للمؤمنين أصحاب العقول، وفي ذلك تعريض بالكافرين المكذّبين الذين لا يعتبرون بالآيات المعروضة، وإنما هي آيات للمؤمنين العقلاء المتوسمين.

ولا شك في أن القلب المؤمن حين يجول في مصارع القرون، وحين تطالع العين آثارهم ومساكنهم عن كثب، وحين يتملّئ ذلك المساكن وقد خلت من أهلها الظالمين، ويتصوّر شخصهم الزاهية، وحركاتهم وسكناتهم، وخواطرهم وأحلامهم، وهمومهم وآسألهم.. حين يتأمل هذا الحشد من الصور المزدهمة، ثم لا يرى إلا الخواء الموحش.. حينئذ يستيقظ للعبرة، ويدرك يد القدرة التي أخذت القرون الأولى لظلمها وهي قادرة على أن تأخذ ما يليها، ويعي معنى الإنذار والعبرة التي تبتّعها تلك المساكن (٢) الخاوية.

إرم ذات العماد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذو الأوتاد:

ترد هذه الكنايات الثلاث في قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَأْدٍ ﴿١﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْمَأْدِ ﴿٢﴾ الَّتِي كُنَّ يَخْلُقُ مِنْهَا آلَ بِلَادٍ ﴿٣﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٤﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿٥﴾ الَّذِينَ مَطَعُوا فِي الْيَلْدِ ﴿٦﴾ فَاسْكُرُوا فِيهَا السَّكَادِ ﴿٧﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿٩﴾﴾ (٣) في هذه الآيات الكريمة تتشكل ثلاث كنايات: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْمَأْدِ﴾ و﴿ثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ و﴿فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ثلاث أمم غابرة ذوات حضارة بلغت مبلغاً يذكر، قوم

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣ / ٤٤٦، وينظر: صفوة التفسير: ٢ / ٥٠٦.

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: ٥ / ٥٠٤.

(٣) سورة الفجر، الآيات: ١٤-٦.

عاد، وقوم ذمود، وقوم قريعون. يخبرنا القرآن عنها لاتخاذ العبرة منها والموعظة، فهذه الحضارات التي شيدنها هذه الأمم لم تنجها من العذاب والهلاك لما كفرت بالله وعذت عن أمره. والسياق يُفتح بالاستفهام بالهمزة: ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾ للتنبيه وإثارة النقطة للالتفات إلى ما أنزل الله بها من عذاب طاع كما صورته الاستعارة المكنية (صَبَّ).

الكناية الأولى: ﴿إِذْ بَنَیَ الْوَعْدَیْ﴾ يصف بها "عاد الأولى أهل إرم ذات البناء الرفیع، الذین كانوا یسكنون بالأحقاف بین عمان وحضرموت" (١) وهذه الكناية تشير إلى أكثر من معنى مكنى عنه، فهي ذات إحياءات متعددة تقرب إلى الذهن ما كانت عليه عاد من قوة وعز وسيادة كما تدل مادة هذه الكناية. قال ابن منظور: "عَمَدُ الْحَائِطِ يَعْمَدُهُ عَمْدًا: دَعَمَهُ، وَالْعُمُودُ الَّذِي تَحَامِلُ الثَّقَلُ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقٍ كَالسَّقْفِ يَعْمَدُ بِالْأَسَاطِينِ الْمُنْصُوبَةِ. وَعَمَدُ الشَّيْءِ يَعْمَدُهُ عَمْدًا: أَقَامَهُ. وَالْعِمَادُ: مَا أُقِيمَ بِهِ، وَعَمَدَتِ الشَّيْءُ فَانْعَمَدَ أَيِ أَقَمْتَهُ بِعِمَادٍ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ. وَالْعِمَادُ: الْأَبْنِيَّةُ الرَّفِيعَةُ. وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: جَعَلْنَا جِبْجِبًا قِیلَ: مَعْنَاهُ أَيِ ذَاتِ الطُّوْلِ، وَقِيلَ أَيِ ذَاتِ الْبِنَاءِ الرَّفِيعِ، وَقِيلَ: أَيِ ذَاتِ الْبِنَاءِ الرَّفِيعِ الْمُعَمَّدِ" (٢) وقال الميرد في قول الخنساء:

طویلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ سَادَ عَشْرِئُهُ أَمْرًا

فقولها طویلُ النَّجَادِ، تريد نجاده، طول قامته، وهذا مما يمدح به الشريف. وقولها رفیعُ الْعِمَادِ، وإنما تريد ذاك يقال: رجل معتمد أي طويل ومنه قوله ﷺ: ﴿إِذْ بَنَیَ الْوَعْدَیْ﴾ أي الطول (٣). وهذه المعاني التي تشير إليها الكناية قد ذكرها القرآن في مواضع أخرى، فمما يدل على أبنيتهم الرفیعة المُعمَّدة التي تشير إلى رقي حضاري قوله - تَعَالَى -: عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ هُودٌ ﷺ مَخَاطِبًا إِيَّاهُمْ: ﴿أَتَتْنُونُ بِكُلِّ رِيعٍ مَائَةٍ تَبَشِّرُونَ ﷻ وَتَتَّخِذُونَ مَصَالِحَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤). ومما يدل على قوتهم وبسطتهم في الجسم قال - تَعَالَى -: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ (٥). فعاد بلغت من الحضارة حتى أنها لتتخذ المصانع لندحت الجبال وبناء القصور، وتشيد العلامات على المرتفعات، وحتى ليجول في خاطرهم أن هذه المصانع وما ينشؤونه بوساطتها من البذيان كافية لدميتهم من

(١) صفوة التفاسير: ٣ / ٥٥٦، وينظر: سورة الأحقاف، الآية: ٢١.

(٢) لسان العرب: ٣ / ٣٠٣ (عند).

(٣) الكامل: ٢ / ٢٨١.

(٤) سورة الشعراء، الأيتان: ١٢٨ - ١٢٩.

(٥) سورة الأعراف، من الآية: ٦٠، وينظر: سورة هود، الآية: ٥٢، وسورة الشعراء، الآية: ١٣٠.

الموت (١) "وهم بدلاً من أن يؤمنوا بالله ويشكروه على نعمه عليهم كفروا وحدثوا نعمه وركنوا إلى قوتهم فدمرهم الله وعذبهم عذاباً شديداً بالريح الصرصر العاتية التي سخرها عليهم في أيام نوحات (٢).

والكناية الثانية: في شأن دمود الذين ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ أي تقطع الصخر، يقال "جاء الثوب واجتأبه: قطعه". وجاء الصخرة: خرقها (٣) وتقطيع الصخر وخرقه الذي يدل عليه ظاهر الكناية يراد منه ملزومه وهو المعنى المكنى عنه الذي توحى به ويتمثل في رقيهم الحضاري الذي بلغوه من قوة مادية وسيادة، فدمود قد قطعت الصخر لتشييده بيوتاً وقصوراً، وقد أشار القرآن في مواضع أخرى إلى هذا المعنى في قوله - تعالى - على لسان نبيه صالح ﷺ مخاطباً إياهم: ﴿وَأَذْكُرُوا أَنِ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عِبَادِي وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَفْخَدُونَ مِنْ مُهْمِلِهِمَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ يَوْمًا فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْمَدُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٤). فالكناية تشير إلى رقيهم الحضاري الذي بلغوه بما أنعم الله عليهم.. ولكنهم كفروا وعدوا عن أمر ربهم ورسوله فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كفوا يكسبون (٥).

وأما الكناية الثالثة: في شأن فرعون ﴿وَفَرَعُونَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ فقد قيل فيها عدة معان: - أنه كان يوتد من يريد تعذيبه بأربعة أوتاد في يديه ورجليه ويتركه حتى يموت. - المراد بالأوتاد المباني العظيمة الثابتة. - المراد الدلالة على ثبات ملكه. - المراد بأنه صاحب الأهرامات والمباني العظيمة الثابتة التي تقوم في الأرض كالأوتاد (٦).

ورجَّح بعض المفسرين المحدثين بأنها الأهرامات التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المثينة البنيان (٧).

- (١) في ظلال القرآن: ٥٧١ / ٨.
- (٢) ينظر: سورة الحاقة، الأيتان: ٦ - ٧، وسورة فصلت، الآية: ١٥، وسورة الذاريات، الأيتان: ٤١ - ٤٢، وسورة القمر، الأيتان: ١٩ - ٢٠.
- (٣) أساس البلاغة، ص ٦٨ (جوب). وينظر: لسان العرب: ٢٨٥ / ١ (جوب).
- (٤) سورة الأعراف، الآية: ٧٤. وينظر: سورة الشعراء، الآية: ١٤٩.
- (٥) ينظر: سورة فصلت، الآية: ١٧، وسورة الذاريات، الآية: ٤٤.
- (٦) ينظر: صفوة التفاسير: ٥٦ / ٣، وينظر: الكشاف: ٥٩٧ / ٤.
- (٧) ينظر: في ظلال القرآن: ٥٧١ / ٨، وينظر: ٩٠ / ٧.

والبيادي أن الكناية تشير إلى كل هذه المعاني، فهي كناية موحية، إلا أن أقرب معنى ظاهري تدل عليه هو أنه كان يوتد من يريد تعذيبه بأوتاد حتى يموت، والمعنى الأول الذي أوردناه، ويؤيد هذا المعنى ما ورد في القرآن في مواضع أخرى من تهديد فرعون للسحرة الذي آمنوا بموسى (عليه السلام)، تهديدهم بعذاب التصلب في جذوع النخل ونقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف^(١)، وفي جذوع النخل إشارة صريحة إلى هذه الأوتاد بوصفها وسيلة تعذيب معروفة لدى فرعون.. ومما يؤيد هذا المعنى الظاهر القريب السياق الذي جاءت فيه الكناية، فهو سياق عذاب العذاب الطاعي الغامر الذي صبه الله عليهم ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَآلِيمٌ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ لِيُذَكِّرَهُمْ﴾ وكان جزاءهم الذي لقوه هو من جنس عملهم.

أما المعنى المكنى عنه البعيد الذي تشير إليه الكناية والذي نرجحه هو ثبات ملكه المرتكز على القوة، ومما يقوي هذا المعنى ويجليه ما ورد في القرآن عن جعل الجبال في الأرض أوتاداً لها لتثبيتها واستقرارها ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ﴿^(٢)﴾، فالثبات والاستقرار هو المعنى الذي تشير إليه الكناية وهو معنى ينطوي على المعاني الأخرى وهو من مظاهر ثبات الملك الدال عليه كالمباني العظيمة الثابتة التي تقوم في الأرض كالأوتاد أو تلك الأهرامات التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المثبتة البنيان، وكلها تشير إلى رقي حضاري، وقوة مادية، ولكنها قوة مادية طاغية، فقد أشار القرآن إلى قوة فرعون وجبروته، وأشار إلى البنيان العظيمة والأنهار التي تجري من تحديها^(٣)، وطغيانه في الأرض وتعذيبه لبني إسرائيل بألوان العذاب^(٤)، بل أدعى الألوهية قولاً وفعلاً^(٥)، إنه كان عالياً في الأرض من المسرفين^(٦)، فأخذه الله وجنوده أخذ عزيز مقتدر، فلم تصمد قوته الغاشمة أمام قوة الله وجبروته وهذه هي سنة الله في الأقوام الكافرة الطاغية التي تبلغ مبلغاً من الحضارة المادية بكل ألوانها لأنها منقطعة عن الله كافرة به، فيأخذها بألوان من العذاب الأليم.

نقص الأرض من أطرافها:

- (١) ينظر: السور الإتيية: الأعراف، الآية: ١٢٤، وطه، الآية: ٧١، والشعراء، الآية: ٤٩.
- (٢) سورة النبا، الآيتان: ٦-٧، ينظر: سورة النحل، الآية: ١٥.
- (٣) سورة الزخرف، الآية: ٥١.
- (٤) سورة طه، الآية: ٤٧.
- (٥) سورة القصص، الآية: ٣٨، وسورة الشارعات، الآية: ٢٤.
- (٦) سورة يونس، الآية: ٨٣، وسورة القصص، الآية: ٤.

وردت هذه الكناية في قوله - تعالى - ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١).

تتصل هذه الكناية: ﴿ نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ بالكنائيات الثلاث السابقة في شأن عاد وثمود وفرعون، إذ تصور لنا عاقبة الأمم الكافرة بالله ﷻ مهما بلغت حضارتها المادية في الرقي والتطور. وجاء في تفسيرها: "﴿ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ ﴾ أرض الكفر ﴿ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ بما نفتح على المسلمين من بلادهم، فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام، وذلك من آيات النصر والغلبة" (٢). فالكناية تصور هذا المعنى على سبيل التمثيل بالصورة الحسية والمتمثلة بنقصان الأرض من أطرافها، وهذا يمثل المعنى الظاهر القريب لها، أما المعنى المكنى عنه البعيد فهو يلتقي مع هذا المعنى من حيث النقص والغلبة للمسلمين، والدمار والهلاك للكافرين، إلا أنه يتجسد على نحو مخصوص ويقرر حقيقة، وسنة من سنن الله في الأرض، وتتمثل هذه الحقيقة (المعنى المكنى عنه) في أن يد الله ﷻ القوية تفعل فعلها في الأمم القوية الغنية - حين تبطر وتكفر وتفسد - فننقص من قوتها ومن ثرائها، وننقص من قدرها، وتحصرها في رقعة من الأرض ضيقة بعد أن كانت ذات سلطان وسيادة، وإذا حكم الله عليها بالانحسار فلا معقب لحكمه ﷻ، والله يحكم لا معقب لحكمه ﷻ ولا بد له من النفاذ (٣).

وبذلك فإن الكناية تشير إلى هذا اللون من العذاب البطيء وبه تطوى رقعة النول المتغلبة وتندمر وتزول أو تكون دويلات صغيرة لا قوة لها ولا سيادة، وكانت من قبل أميرات، فإذا هي مغلوبة على أمرها بعد أن كانت غالبة، وإذا هي فقيرة قليلة العدد بعد أن كانت غنية كثيرة العدد. وهذه هي سنة الله كما تجليها الكناية.

(٢) كُنَايَاتُ عَنِ الْعَذَابِ :

والعذاب الذي تصوّره هذه الكنايات متنوع منه عذاب أصحاب جهنم الذين يغشاهم عذابها من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ومنه عذاب في الحياة الدنيا لأولياء الشيطان تخرجه الكناية بالتصوير الحسي المؤثر، وفيما يأتي عرض لها:

(١) سورة الرعد، الآية: ٤١. وينظر: سورة الأنبياء، الآية: ٤٤.

(٢) الكشف: ٢ / ٤١٦. وينظر: صفوة التفسير: ٢ / ٨٧.

(٣) ينظر: في ظل القرآن: ٥ / ١٠٢.

من فوقهم ومن تحت أرجلهم:

تأتي هذه الكناية في قوله - تعالى - ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُووَأَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١)

﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ كناية ومعناها الظاهر القريب هو أن العذاب يغشاهم من الجهتين: من فوقهم ومن تحته، أما المعنى المكنى عنه المقصود فهو أن العذاب يحيط بهم إحاطة شاملة، فهو عذاب شديد يطبق عليهم فيغشاهم ويلابسهم من كل مكان، ولكن الكناية تصوّره من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، لأن ذلك أبلغ في تصوير العذاب، إذ الكناية تخرج العذاب وكله جُمعٌ تقتفهم به من فوق، أو براكين تنفجر عنه من تحت أقدامهم^(٢). وفي ذلك يتجلى هول العذاب وشدته، فضلاً عن إيحاء التخويف والفرع الذي تشيره الصورة في نفس المتلقي.

وثمة نلاحظ الكناية في سياق آخر في قوله - تعالى - ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيَرْفِقَ بَعْضُكُم بِأَسْ بَعْضٍ أَتُنْظَرُونَ كَيْفَ نُصْرِفُ الْأَيَّاتِ لَعَلَّهُمْ يَنْفَعُهُمْ﴾^(٣)

﴿مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كناية عن العذاب الشديد الغامر الذي يحيط بهم، وخص بالذكر: من فوق ومن تحت لأنهما أبلغ في تصوير العذاب الذي يقهرهم به الله ﷻ إن شاء، وأشدّ وقعاً في النفس من تصوّره آتياً من يمين أو شمال، فالوهم قد يخيل للإنسان أنه قد يقدر على دفع العذاب من يمين أو شمال، أما العذاب الذي يصبُّ عليه من فوق، أو يأخذه به من تحت، فهو عذاب غامر قاهر مزلزل، لا مقاومة له ولا ثبات معه. والكناية موحية بهذا الإيحاء القوي في حس الإنسان ووجدانه، كما أنها تقرر حقيقة قدرة الله على أخذ العباد بالعذاب من حيث شاء وكيف شاء^(٤).

والكناية فضلاً عن ذلك لمّاحة إلى ألوان من العذاب التي أخذ الله بها قسماً من الأقوام الكفّرة العاغرة، تشير إليها الكناية تخويفاً وتحذيراً. قال الزمخشري: ﴿عَذَابًا مِّنْ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٥، وينظر: سورة الزمر، الآية: ١٦.

(٢) ينظر: من أسرار التعبير القرآني، ص ٤٧.

(٣) سور الأنعام، الآية: ٦٥.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن: ٣ / ٢٦٩.

فَوَقَّكُمْ ﴿١﴾ كَمَا أَمَطَرَ عَلَى قَوْمِ لُوطَ وَعَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ الْحِجَارَةَ، وَأَرْسَلَ عَلَى قَوْمِ نُوحِ الطُّوفَانَ ﴿٢﴾ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴿٣﴾ كَمَا أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَخَسَفَ بَقَرُونَ " (١).

فإنه قادر على أن يأخذهم بهذه الألوان من العذاب كما أخذ الأقوام السابقة، وهو المعنى نفسه الذي حذر الله منه المشركين وهددهم به في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٢﴾ وسعى الكناية ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: "وإذا قيل للمشركين احذروا سخط الله وغضبه، واعتبروا بما حل بالأمم السابقين قبلكم من العذاب بسبب تكذيبهم الرسل، واحذروا ما وراءكم من عذاب الآخرة لكي تُرحموا أعرضوا واستكبروا وذلَّ عليه قوله - تعالى -: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٣) فهي كناية عن عذاب الدنيا بالتعبير ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ وعن عذاب الآخرة بالتعبير ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ وفي ذلك إحياء يقرب العذاب الذي يحيط بهم فهو أمامهم ووراء ظهورهم يأخذهم في أي لحظة فهي صورة كنائية تنثير في النفس الترهيب والتخويف من هذا العذاب القريب منهم والمحيط بهم وهم عنه غافلون.

من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم:

يُصَوِّرُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِهَذَا التَّعْبِيرِ الْكِنَائِي مَحَاوِلَةَ إِبْلِيسَ - لَعْنَهُ اللَّهُ - الدَّائِبَةَ لِإِغْوَاءِ آدَمَ ﷺ وَتَرْبِيَّتِهِ، فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - عَلَى لِسَانِ إِبْلِيسَ: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ثُمَّ لَآتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٤﴾ ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ كناية، والمعنى الحسي القريب لها أن إبليس سيأتي البشر من كل الجهات لإغوائهم وإضلالهم عن طريق الله، عن طريق الحق والهدى، فهو العدو يأتي من الجهات الأربع للإطباق على عدوه.

أما المعنى المكنى عنه فهو تجسيد لوسوسته وتوسيله للبشر ما أمكنه وقدر عليه (٥) من الإغواء والتضليل، والكناية تخرج هذا المعنى وتقربه إلى الأذهان في صورة متحركة، نرى فيها إبليس - لعنه الله - في إصراره العنيد على إغواء بني آدم، فهو يتربص بهم قاعداً لهم صراط الله المستقيم، والقعود كناية عن الملازمة، ووجه الكناية هو أن ملازمة المكان

(١) الكشف: ٢٥ / ٢.

(٢) سورة يس، الأيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٣) صفوة التفسير: ١٧ / ٣. وينظر: الكشف: ١٤ / ٤ والجامع لأحكام القرآن: ٣٦ / ١٥.

(٤) سورة الأعراف، الأيتان: ١٦ - ١٧.

(٥) ينظر: الكشف: ٧٣ / ٢.

تستلزم الإعياء من الوقوف عنده، فيقعد الملائم طلباً الراحة، ومن ثم أطلق على المستجير اسم الفعيد، ومن إطلاق الفعيد على الملائم قوله - تعالى -: ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الثَّالِثَتَيْنِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدًا﴾ (١) أي ملازم إذ لا يؤصف بقعود ولا قيام (٢).

والصراط استعارة تصريحية تصور الاسلام من ايمان بالله وطاعات في صورة حمية، وابليس سيقعد على هذا الصراط المستقيم يصد عنه كل من يحاول اجتيازه إلى الله ﷻ ويرجعهم عنه ويضلّهم في شتى محاولاته كما صوّرت الكناية، فينقلبوا كافرين لا يعرفون الله ولا يشكرونه ولا يفلت منه إلا القليل ﴿وَلَا تَحِدْ أَكْفَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ وفي الشكر كناية عن الكفر كما قال - تعالى -: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا لِي﴾ (٣) ووجه الكناية أن إبليس أراد الأدب مع الله - تعالى - فلم يصرح بين يديه بكفر أتباعه المقتضي أنه يأمرهم بالكفر (٤) ولا يخفي ما في التصوير الكنائي من تحذير من هذا العدو والمترصد الذي لا يني في إضلال البشر للحيلولة بينهم وبين الايمان والطاعة، تحذير شديد يثير النفس المؤمنة بالله الطائعة له أن تنقذ لهذا العدو وتدرأ خطره بتقوى الله وطاعته فتنجو من عذاب الله.

(٤) كُنَايَاتُ عَنِ الرَّحْمَةِ:

وهي كُنَايَاتٌ متعددة تصور رحمة الله الواسعة بعباده، وفيما يأتي عرض لنماذج منها:

فتح البركات من السماء والأرض:

وردت هذه الكناية التصويرية في قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَقْبَرُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٥)

﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ كناية قاسمة في بنيتها على الاستعارة المكنية حيث شبه البركات وكذاها محصورة خلف الأبواب المغلقة، ثم حذف الأبواب وأبقى شيئاً من لوازمها وهي (فتحنا) على سبيل الاستعارة المكنية، وفيها تتعمق دلالة تيسير البركات عليهم، قال الزمخشري: "فإن قلت: ما معنى فتح البركات عليهم؟ تيسيرها عليهم

(١) سورة ق ١٠ الآية: ١٧، وينظر: سورة الأعراف، الآية: ٨٦.

(٢) تفسير التحرير والتوير: ٨ / ٤٧ - الكتاب الثاني -.

(٣) سورة البقرة ١٥٢ من الآية: ١٥٢.

(٤) ينظر: تفسير التحرير والتوير: ٨ / ٥٠ - الكتاب الثاني -.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

كما يفسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها. ومنه قولهم: فتحت على القارىء، إذا تعذرت عليه القراءة فيسرها عليهم بالتلقين " (١) والاستعارة ليست غاية بحد ذاتها وإنما هي وسيلة تقودنا إلى معنى مُكنى عنه يتوارى خلفها، وبذلك تكون كناية تشير إلى معناها المُكنى عنه، ويتمثل في ذلك الفيض من الرزق المبارك من السماء والأرض، وهو رزق لا يندصر بالماء النازل من السماء والنبات في الأرض، وإنما هو طرق يأتي من كل وجه بلا تحديد وتقييد، هو رزق مبارك ذو دلالة شاملة لكل أنواع البركات في كل صورها وأشكالها المادية والمعنوية، وذلك بشرط الإيمان والتقوى كما دلّ سياق الآية ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ

الأكل من فوق ومن تحت الأرجل:

وتلتقي هذه الكناية مع الكناية السابقة في تصوير رحمة الله بعباده بالصورة الحسية في تقريب المعنى المكنى عنه إلى الأذهان، وذلك في قوله - تعالى - عن اليهود والنصارى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٧)

فالكناية ﴿لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقَيْهِ﴾ وتصوير حسي، والمعنى القريب كما جاء في التفسير: "لاكلوا الأزراق النازلة عليهم ﴿مِنْ فَوْقَيْهِ﴾ من السماء بإبزال مياديهما، والأزراق النابتة ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْطُلَيْهِ﴾ أي مما تحتها من الأراضي الخصبة المنيقة المثمرة" (٣)، وأورد الزمخشري ثلاثة أوجه من المعاني:

- أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض.
- أن يكثر الأشجار المثمرة والزرع المغلة.
- أن يرزقهم الجنان الياقة الثمار يجتنون ما تهطل منها من رؤوس الشجر
ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم^(٤).

(١) الكشاف: ٢ / ١٠٥.

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٦٦ .

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٣ / ١٧٩.

(٤) الكشاف: ١ / ٦٣٠.

أما المعنى المُكنى عنه بهذا التعبير الكناي في فهو المُنْعَة في الرزق على المؤمنين المتقين، رزق مبروك لا يتحدد بالجهتين المذكورتين (فوق وتحت) حسب، وإنما فيه دلالة الوفرة نعم البلاد بالخيرات والثمار والأرزاق ينالها العباد بشرط الإيمان والتقوى. وبذلك تجلي هذه الكناية، فضلاً عن الكناية السابقة المعنى المُكنى عنه مصوراً بالصورة الحسية المؤثرة يقرآن سنة من سنن الله تتمثل في أن الإيمان والتقوى يكفل للمؤمنين المتقين وفرة في الرزق المبارك في حياتهم الدنيا، فضلاً عن جزاء الدار الآخرة بتعظيمها الدائم الباقي.

وحملناه على ذات ألواح ودسر:

ترد هذه الكناية في سياق الطوفان، وهي تجلي صورة من صور الرحمة الإلهية بالعباد المؤمنين: نوح عليه السلام ومن آمن معه، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ (١).

﴿عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ كناية عن السفينة التي حملت نوحاً عليه السلام ومن معه من المؤمنين، قال الزمخشري: "أراد السفينة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتتوب منابها وتؤدي مؤداها" (٢)، أي قدكّني عن الموصوف (السفينة) بلفظين هما: الألواح والدسر اللذان يثيران إلى أنها كانت سفينة محكمة بهما، وهو المعنى الذي يلائم سياق الطوفان الصعب الذي أحاط خطره وأحرق بكل حي ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَبِرٍ﴾ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قُدْرٍ﴾ ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ (٣)، فهي سفينة محكمة قد صنعها سيدنا نوح بعين الله ورعايته كما قال - تعالى -: ﴿إِن أَصْنَعُ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا﴾ (٤)، والتكثير في ﴿أَلْوَاحٍ﴾ يفيد التعظيم والنوعية معاً، فهي من نوع من الألواح غريب وعظيم، وكذلك يُقال في (الدسر) (٥).

وقد لاحظ الدكتور محمد أبو موسى معنى آخر مضاداً لهذا المعنى بقوله: "الكناية عن السفينة بذات الألواح والدسر ليس بياناً لمكانتها وقوتها وأنها يأمن من فيها، وإنما هو تهوين لها، وأنها لا تحفظ أحداً، وإنما كان الحفظ بعناية الله وحدها، وكلّهم في وسط هذا الموج الهادر الذي ابتلع الحياة والأحياء آمنون وهم على ألواح لا تُغني عنهم من الأمر شيئاً، لأن عناية الله كانت هي التي تحفظ، وفي هذا تكريم لهؤلاء الذين آمنوا، وأنهم لم ينجوا بسفينة ناجية، وإنما نجوا على سطوح ألواح هينة" (٦).

وفي هذا يتجلى بيان الكرامة التي كانت من الله لنوح والذين معه ورحمته بهم في ذلك الموقف وهوله العظيم الذي أحاط بالأحياء والحياة.

(١) سورة القمر، الآية: ١٣، وينظر: السور الآتية: الشورى، الآية: ٣٢، والذاريات: ٣، والرحمن، الآية: ٢٤، والحاقة، الآية: ١١ وفيها كنايات عن السفينة بوصفها آية من آيات الله وتجلي صورة من صور رحمة الله بالناس.

(٢) الكشف: ٣٤٥ / ٤.

(٣) سورة القمر، الآيات: ١١ - ١٣.

(٤) سورة المؤمنون، من الآية: ٢٧.

(٥) ينظر: التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص ٤١٧ - ٤١٨.

(٦) التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص ٤١٨.

(٥) كُنَايَاتُ أُخْرَى:

يضم هذا المبحث عدة كُنَايَاتٍ، كل كُنَايَة تنفرد بموضوع معين، وفيما يأتي عرض

لها:

التَّنْشِيطُ فِي الْحَلِيَّةِ وَفِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ:

وردت هذه الكُنَايَة عَنِ الْإِنَاثِ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿أَوْمِنْ يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(١)، كُنَايَة عَنْ مَوْصُوفٍ وَهِيَ (المرأة)، وقد أبرزت هذه الكُنَايَة فِي المرأة صفات معينة، وهي صفات ذوات دلالة مهمة في سياق الآيات التي تشكلت فيها الكُنَايَة، ويحسن بنا إيرادها ليتجلى معنى الكُنَايَة بوضوح: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا لِّإِنْسَانٍ لَّكُفْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢) أَرَأَيْتُمْ مِمَّا يَفْلُحُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالنِّسَاءِ ﴿وَإِنَّا بَشَرٌ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٣) أَوْمِنْ يُنْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٤).

فالكُنَايَة تشير إلى أن النعومة والرخوة من صفات النساء، وفي ذلك رمز إلى أن هاتين الصفتين ليستا من أوصاف الرجال الذين أعنوا للمجادة وتعمير الأرض، فالتنشيط في الزينة والنعومة من المعاييب والمذام للرجل، وأنها من صفة المرأة، فعلى الرجل أن يتجنب ذلك ويأفف منه^(٥)، وكون (المرأة) تنشأ في الحلية فهي مشغولة بظواهر الأمور وزينتها. وفي الكُنَايَة بيان لتجاوزهم وغيبهم حين جعلوا الاناث جزءاً من الرحمن وبضعة منه - تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا - وهذا يتنافى مع الجبروت والملكوت وسيطرة الربوبية، والعرب أعرف أقوام الأرض بما تتطوي عليه المرأة من الضعف والعجز، وما تحتاج إليه من الحباطة والحماية، وحياة الحرب والغارة التي كانت قطعة من وجودهم لم يكن للمرأة فيها بلاء، ثم يجعلونها مثلاً للرحمن وهم ﴿وَإِنَّا بَشَرٌ أَحَدُهُمْ بِأَلْتَفِ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٦).

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٨.

(٢) سورة الزخرف، الآيات: ١٥ - ١٨.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤ / ١٩٢، وينظر: التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص ٤١٨ - ٤١٩.

(٤) سورة النحل، الآية: ٥٨.

(٥) التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص ٤١٩.

﴿وَهُوَ فِي الْإِصْبَارِ عَزِيزٌ﴾ تجلّي صفة أخرى للموصوف الذي يتّرى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى مجازاة الخصوم ومجازاة الرجال، كان غير مبين، ليس عنده بيان، ولا يتألّى ببرهان يحتج به من يخاصمه (١). وذلك لضعف فطرة عن الرجال. وبذلك يبرز عجز الموصوف وضعفه في التعبير الكنائي بالذبات شاهده ودليله من الواقع الذي يعايشونه، ومنطقهم الذي يؤمنون به، فيتجلى ظلمهم وغبنهم، فضلاً عن شكرهم بالله ﷻ حين يجعلون له ممّا خلق جزءاً من المخلوقين.

تطهير الثياب:

جاءت هذه الكناية خطاباً للرسول ﷺ في قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ

كَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَيَا أَيُّهَا الْقَلْبُ ﴿٤﴾ كناية، والمعنى القريب لها هو: أن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات، لأن طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح إلا بها (٢)، والمؤمن طيّب طاهر، لا يليق منه أن يحمل الخبث. وقد كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه (٤).

أما المعنى البعيد المكنى عنه، فهو (القلب) كما قال ابن عباس (رضي الله عنهما): كنى بالثياب عن القلب والمعنى وقلبك فطهر من الإثم والمعاصي بقول غيلان: وإني بحمد الله لا توب فاجر - لَيْسْتُ وَلَا مِنْ عُدَّةِ اتَّقِ (٥) وتقول العرب: "فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والأردان إذا وصفوه بالنقاء من المعاييب ومذانس الأخلاق، وفلان دنس الثياب للغادر، وذلك لأن الثوب يلبس الإنسان ويشتمل عليه، فكنى به عنه. ألا ترى إلى قولهم: أعجبتني زيد ثوبه، كما يقولون: أعجبتني زيد عقله وخلقه، ويقولون المجد في ثوبه، والكرم تحت حذائه، يكونون عن نسبة المجد والكرم إليه. ولأن الغالب أن من طهر باطنه ونقاها عني بتطهير الظاهر وتقيته، وأبى

(١) الكشف: ٤ / ١٩١.

(٢) سورة المدثر، الآيات: ١-٤.

(٣) ينظر: الكشف: ٤ / ٥١٦.

(٤) صفوة التفسير: ٣ / ٤٧٤.

(٥) جامع البيان في تفسير القرآن: ٦٩ / ٩١، وينظر: التفسير الكبير: ٣١ / ١٩٣.

إلا اجتنب الذب وإيثار الطهر في كل شيء " (١) - فلما كان الثوب كالشيء الملازم للإنسان، جعلوه كنايةً على سبيل المجورة، وكناية المجورة هي - كما عرّفها البلاغيون - أن نريد ذكر الشيء فنتركه إلى ما جوره (٢) وجعل الرازي مرة حسن هذه الكناية إلى هذه المجورة بين لفظ الكناية والمعنى المكنى عنه (٣) كما يتجلى حسن الكناية من حديث المعنى في ملأ مذهبها لسياق الانذار الذي جاءت فيه، فطهارة الموصوف (القلب) هي الحالة المناسبة للتلقّي من الملأ الأعلى، فالطهارة هي الصق شيء بطبيعة الرسالة، وهي ضرورة لملايسة الانذار والتبليغ (٤)

البهتان المُفترى بين اليدين والرجلين:

وربت هذه الكناية في قوله - تعالى - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبِيَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِمُهْتَنٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِ وَأَرْجُلَيْهِ وَلَا تَعْصِمُنَكَ فِي مَعْرُوفٍ مَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْنَ لَكَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥)

﴿يُبْتِهِنُنَّ بَقَرَتَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِ وَأَرْجُلَيْهِ﴾ كناية عن موصوف، قال ابن عباس (رضي الله عنهما): " لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن " (٦) وقال الزمخشري: " كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لأزوها: هو ولدي منك، كنى بالبهتان المُفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا، لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين، وفرجها الذي تلده به بين الرجلين " (٧) فالموصوف هو الولد اللقيط، وليس المراد الزنا وذلك لتقدمه في السياق بالنهاي صريحة ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ ولعل هذا التحفظ - بعد المبايعة على عدم الزنا - كان للحالات الواقعة وقتئذٍ من أن تبيح المرأة نفسها لعدة رجال، فإذا جاءت بولده، نظرت أيهم أقرب به شيهاً فالحقته به، وربما اختارت هي أحسنهم فالحقت به ابنها وهي تعلم من هو أبوه!

(١) الكشاف: ٥١٦ / ٤. وينظر: صفوة التفسير: ٣ / ٤٧٤، والمنتخب من كتابات الأئمة وإشارات اليلغاء، ص ٨.

(٢) ينظر: المثل السائر: ٣ / ٥٨.

(٣) التفسير الكبير: ٣٠ / ١٩٢.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن: ٨ / ٣٦٠.

(٥) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٦) الاتقان في علوم القرآن: ٢ / ٤٧.

(٧) الكشاف: ٤١٥ / ٤، وينظر: روح المعاني: ٩ / ٥٧.

والكناية تشمل هذه الحالة وغيرها من كل بهتان مزور يدعى، ولعل ابن عباس (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) خصصه بذلك المعنى لمناسبة واقعة وقتذاك (١).
ومن ثم نلاحظ من الكناية والسياق مدى اهتمام القرآن بالمرأة إذ يرتفع بها إلى حيث
نَحَقِّقُ إِنْسَانِيَّتَهَا إِذَا مَا نَحَقَّقْتَ فِي وَاقِعِهَا بِاجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ الْقُرْآنُ.

(١) في ظلال القرآن: ٨ / ٢٠.